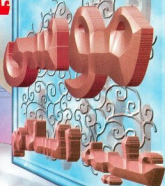


26

الاحاديث

الجزء الثالث

على أرض مدين



بقلم: ١٠. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم: ١٠. عبد الشافي سيد

إشراف: ١٠. حمدي مصطفى



تربى نبي الله موسى ﷺ في قصر فرعون
مصر ، حتى بلغ أشده ، وأدبه ربه بأدب الأنبياء ،
فأحسن تأديبه ، فأتاه حكما وعِلما .. وقد كان
موسى نصيرا قويا لأبناء قومه من بني إسرائيل ،
ضد ظلم المصريين لهم .. فالمصريون يعرفون
أنه ابن الفرعون ، ولذلك يعملون له ألف حساب
ويخافون بطشه ..

وقد كان موسى ﷺ رجلا قويا ، لكنه كان
سريع الغضب والانديفاع ، شديد البطش في لحظات
غضبه ..

وَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ كُلَّمَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ ظَلَمٌ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ ، لِيَرْفَعِ الظُّلْمَ عَنْهُمْ ..
وَبِرْغَمِ تَرْبِيَّتِهِ فِي قَصْرِ الْفِرْعَوْنَ فَقَدْ كَانَ مُوسَى ﷺ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ ابْنُ الْفِرْعَوْنَ ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْنُ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ نَصِيرُهُمْ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ مُوسَى مِنْ قَصْرِ الْفِرْعَوْنَ ، وَسَارَ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ .. رُبَّمَا خَرَجَ لِلتَّنَزُّهِ ، أَوْ لِقَضَاءِ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ ، فَرَأَى مَنَظَرًا أَثَارَ غَضَبِهِ ، وَجَعَلَ الدَّمَاءَ تَتَدَفَّقُ فِي عُرُوقِهِ بِقُوَّةٍ مِنَ الْإِنْفِعَالِ .. فَمَاذَا رَأَى ؟

رَأَى مُوسَى رَجُلَيْنِ يَتَشَاجَرَانِ .. كَانَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ مِصْرِيًّا مِنْ رِعَايَا الْفِرْعَوْنَ ، وَكَانَ الرَّجُلُ الْآخَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَوْمِ مُوسَى ..

وَكَانَ الرَّجُلُ الْمِصْرِيُّ يَضْرِبُ الْإِسْرَائِيلِيَّ
بِقُوَّةٍ .. كَانَ يُحَاوِلُ قَتْلَهُ .. وَرَأَى الرَّجُلُ
الْإِسْرَائِيلِيَّ مُوسَى ، فَاسْتَعَاثَ بِهِ ، وَنَادَاهُ لِيُسَاعِدَهُ
عَلَى ضَرْبِ الْمِصْرِيِّ .. وَتَقَدَّمَ مُوسَى مُحَاوِلًا
إِبْعَادَ الرَّجُلِ الْمِصْرِيِّ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيِّ ، وَدَفَعَهُ
دَفْعَةً قَوِيَّةً ، فَسَقَطَ الْمِصْرِيُّ عَلَى الْأَرْضِ قَتِيلًا ..
مَاتَ الرَّجُلُ الْمِصْرِيُّ ، وَلَمْ يَكُنْ مُوسَى يَقْصِدُ
قَتْلَهُ ..

وَقَفَ مُوسَى يَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلِ الْقَتِيلِ عَلَى الْأَرْضِ
مَذْهُولًا .. وَلَمَّا أَفْأَقَ مِنْ ذَهْوَلِهِ ، وَذَهَبَ عَنْهُ
الْغَضَبُ ، نَدِمَ نَدَمًا شَدِيدًا عَلَى تَسْرُعِهِ .. وَبَطْشِهِ
بِهِ وَأَرْجَعَ مَا حَدَثَ إِلَى أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ،
فَقَالَ :

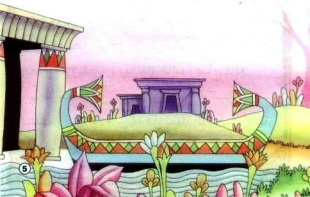
﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ قَائِلًا :

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ مُوسَى عليه السلام فَغَفَرَ لَهُ ، لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ أَنْ يَقْتُلَ الرَّجُلَ .. وَمِنْذُ هَذِهِ
اللَّحْظَةِ قَرَّرَ مُوسَى عليه السلام أَلَّا يَكُونَ نَصِيرًا
لِلْمَجْرِمِينَ ..

وَمَضَى مُوسَى بَعِيدًا عَنْ مَسْرَحِ الْجَرِيمَةِ ، وَمِنْ
الْوَاضِحِ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ لَمْ يَشَاهِدْ مُوسَى ،
وَهُوَ يَصْرَعُ الرَّجُلَ الْمِصْرِيَّ .. وَلِذَلِكَ أَخَذَتِ
الشَّرْطَةُ تَبَحُّثًا عَنِ الْقَاتِلِ لِنِالِ عِقَابِهِ عَلَى هَذِهِ
الْجَرِيمَةِ ..



وَلَمْ يَعُدْ مُوسَى إِلَى قَصْرِ الْفِرْعَوْنَ مَرَّةً أُخْرَى ،
بَلْ بَاتَ لَيْلَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ خَائِفٌ يَتَرَقَّبُ
الْقَبْضَ عَلَيْهِ فِي آيَةٍ لَحْظَةٍ ، وَتَقْدِيمَهُ إِلَى الْفِرْعَوْنَ ،
لَيْنَالِ جَزَاءَهُ ، لِأَنَّهُ قَتَلَ وَاحِدًا مِنْ أَتْبَاعِهِ ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ، كَانَ مُوسَى عليه السلام سَائِرًا فِي
شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ ، فَرَأَى نَفْسَ الرَّجُلِ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ الَّذِي نَادَاهُ لِنَصْرَتِهِ بِالْأَمْسِ ، مُشْتَبِكًا
فِي عِرَاكِ مَعَ رَجُلٍ مِصْرِيٍّ آخَرَ ..

وَنَادَى الرَّجُلُ الْإِسْرَائِيلِيَّ مُوسَى ، لِيُسَاعِدَهُ فِي
ضَرْبِ الْمِصْرِيِّ ، فَتَدْخُلُ مُوسَى لِفَضِّ الْاِشْتِبَاكِ
بَيْنَهُمَا ، فَظَنَّ الرَّجُلُ الْإِسْرَائِيلِيَّ أَنَّ مُوسَى سَوْفَ
يَبْطِشُ بِهِ وَيَقْتُلُهُ ، وَلِذَلِكَ خَافَ وَصَاحَ قَائِلًا :

— مَا هَذَا يَا مُوسَى .. هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا
قَتَلْتَ رَجُلًا بِالْأَمْسِ ؟ هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا

فِي الْأَرْضِ ؟

وَعَرَفَ الْمَصْرِيُّونَ الْحَاضِرُونَ أَنَّ مُوسَى
هُوَ قَاتِلُ الْمِصْرِيِّ بِالْأَمْسِ ، وَالَّذِي تَبَحْثُ عَنْهُ
الشَّرْطَةُ ، فَذَهَبُوا وَأَبْلَغُوا عَنْهُ ..
وَسَارَ مُوسَى عليه السلام فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ خَائِفًا
يَتَرَقَّبُ ..

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عَلِمَتِ الشَّرْطَةُ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ
الْقَاتِلُ الَّذِي يَبْحَثُونَ عَنْهُ لِلْقِصَاصِ مِنْهُ ، وَعَلِمَ
فِرْعَوْنُ فَأَصْدَرَ أَمْرَهُ بِقَتْلِ مُوسَى ..

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ حَاشِيَةِ فِرْعَوْنَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ، لَكِنَّهُ
كَانَ يُخْفِي إِيمَانَهُ ، كَمَا كَانَتْ زَوْجَةُ الْفِرْعَوْنَ
تُخْفِي إِيمَانَهَا ؛ خَوْفًا مِنْ بَطْشِ الْفِرْعَوْنَ .. فَلَمَّا
عَلِمَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ الْفِرْعَوْنَ قَدْ أَصْدَرَ قَرَارَهُ
بِقَتْلِ مُوسَى ، أَسْرَعَ يَبْحَثُ عَنْ مُوسَى فِي شَوَارِعِ
الْمَدِينَةِ ، حَتَّى عَشَرَ عَلَيْهِ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ ،
وَأَخْبَرَهُ أَنَّ قَرَارَ قَتْلِهِ قَدْ صَدَرَ ، وَأَنَّهُمْ يَبْحَثُونَ

عَنْهُ لِيَقْتُلُوهُ .. وَنَصَحَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُوسَى
بِسُرْعَةِ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَمُغَادَرَتِهَا قَبْلَ أَنْ
يَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ ..

وَأَطَاعَ مُوسَى أَمْرَ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ ، فَغَادَرَ الْمَدِينَةَ
خَائِفًا ، وَهُوَ يَتَرَقَّبُ أَنْ يُلْقَى رِجَالُ الْفِرْعَوْنَ
الْقَبْضَ عَلَيْهِ فِي آيَةٍ لَحْظَةٍ .. وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كَانَ
يَدْعُو اللَّهَ ، طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ..

وَهَكَذَا مَضَى مُوسَى عليه السلام وَحِيدًا ، لَا يَحْمِلُ
شَيْئًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا ، لَكِنَّ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ كَانَ
هُوَ النُّورَ الَّذِي يُضِيءُ لَهُ الطَّرِيقَ ..

خَرَجَ مُوسَى مِنْ مِصْرَ ، وَسَارَ فِي صَحْرَاءِ سِينَاء ..
لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ مَكَانًا مُحَدَّدًا ، لَكِنَّ هَدَفَهُ كَانَ الْفِرَارَ
مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ .. كَانَتْ الصَّحْرَاءُ قَاحِلَةً ،



والرَّمالُ تَمْتَدُّ حَوْلَهُ بِلَا نِهَايَةٍ .. الشَّمْسُ حَارِقَةٌ ،
وَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ ، وَلَا أُنَيْسَ لِمُوسَى فِي رِحْلَتِهِ إِلَّا
ذِكْرُ اللَّهِ ..

لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ كَمْ مِنَ الْوَقْتِ مَضَى عَلَى مُوسَى
فِي رِحْلَتِهِ مِنْ مِصْرَ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَرْضِ مَدْيَنَ
جَنُوبَ فِلَسْطِينَ ..

كَانَ مُوسَى عليه السلام مُتَعَبًا مِنْ أَثَرِ السَّيْرِ الطَّوِيلِ ،
وَكَانَ جَائِعًا وَعَطْشَانًا ، فَجَلَسَ لِيَسْتَرِيحَ .. وَكَانَ
جُلُوسَهُ قَرِيبًا مِنَ الْبَيْتِ الَّتِي يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا أَهْلُ
مَدْيَنَ الْمَاءِ ..

وَفِي أَثْنَاءِ جُلُوسِهِ رَأَى مُوسَى الرُّعَاةَ مِنْ أَهْلِ
مَدْيَنَ ، وَهُمْ يَزَاحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ أَجْلِ أَنْ
يَسْقَى كُلُّ مِنْهُمْ غَنَمَهُ وَمَاشِيَتَهُ ..

وَرَأَى فِتَاتَيْنِ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ تَقِفَانِ بَعِيدًا عَنِ الْبَيْتِ
تَحْرُسَانِ غَنَمَهُمَا ؛ حَتَّى لَا تَخْتَلِطَ بِأَغْنَامِ الْآخَرِينَ ..
فَتَعَجَّبَ مِنْ أَمْرِهِمَا ، وَنَهَضَ فَسَأَلَهُمَا :

— لِمَاذَا تَقِفَانِ بَعِيدًا عَنِ الْبَيْتِ هَكَذَا وَلَا تَسْقِيَانِ

غَنَمَكُمَا ؟

فَرَدَّتْ عَلَيْهِ إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ قَائِلَةً :

- نَحْنُ نَنْتَظِرُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الرِّعَاءُ مِنَ السَّقْيِ ،
لَأَنَّا لَا نَحِبُّ الْاِخْتِلَاطَ بِالرِّجَالِ ، وَلَا نَقْدِرُ عَلَى
مُزَاحَمَتِهِمْ ..

وَعَرَفَ مُوسَى ﷺ مِنَ الْفَتَاتَيْنِ أَنَّهُمَا تَقُومان
بِرْعَى الْأَغْنَامِ ، لِأَنَّ أَبَاهُمَا شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَقْدِرُ
عَلَى الْخُرُوجِ لِلرِّعَى .. وَأَنَّهُمَا تَنْتَظِرَانِ حَتَّى
يَسْقَى الْجَمِيعَ وَيَنْصَرِفُوا ..

فَأَشْفَقَ مُوسَى ﷺ عَلَى الْفَتَاتَيْنِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى
الْبُئْرِ مُزَاحِمًا الرِّجَالَ ، فَأَدْلَى الدَّلْوَ فِي الْبُئْرِ
وَاسْتَخْرَجَ الْمَاءَ ، فَسَقَى أَغْنَامَ الْفَتَاتَيْنِ ..

وَقَادَتِ الْفَتَاتَانِ أَغْنَامَهُمَا فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ إِلَى دَارِهِمَا ..
أَمَّا مُوسَى ﷺ فَقَدْ عَادَ إِلَى الْجُلُوسِ تَحْتَ
شَجَرَةٍ مُسْتَظِلًّا بِظِلِّهَا ، وَهُوَ يَفْكُرُ فِيمَا سَيَفْعَلُ
فِي هَذَا الْبَلَدِ ، لِيَدْبِرَ حَالَهُ .. وَدَعَا رَبَّهُ قَائِلًا :

﴿ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتُ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

أما الفتاتان فقد وصَلتا إلى البيت ، فاستقبلهما
أبوهما الشيخ الكبير متعجبا وقال :

- أراكما عدتما اليوم مبكرا ؟ !

فقالت إحدى الفتاتين :

- قابلنا رجلا كريما ، فزاحم الرجال وسقى لنا ..

وقالت الأخرى :

- من الواضح أنه غريب ، وليس من أهل

مدين ..

وقصت الفتاتان على أبيهما ما قام به موسى من

عمل شهم فتعجب الرجل ، وطلب من إحدى

ابنتيه أن تذهب وتنادي موسى ، حتى يكافئه

على عمله ..

وصلت الفتاة إلى المكان الذي يجلس فيه

موسى تحت الشجرة ، فوقفت بعيدا على

اسْتَحْيَاءَ ، وَقَالَتْ لَهُ :

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

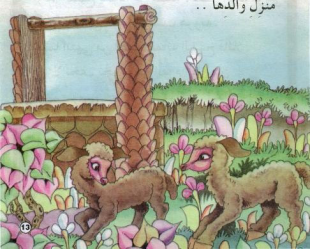
فَتَعَجَّبَ مُوسَى فِي نَفْسِهِ قَائِلًا :

- أَنَا لَا أَنْتَظِرُ أَجْرًا عَلَى مَا قُمْتُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ ،

إِنَّمَا قُمْتُ بِهَذَا الْعَمَلِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ..

لَكِنَّهُ نَهَضَ وَسَارَ خَلْفَ الْفَتَاةِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى

مَنْزِلِ وَالِدِهَا ..



وهناك استقبله الشيخ ، وشكره على ما قام به
من عمل طيب .. ورأى على وجه موسى
وملابسه غبار السفر ، فعرف أنه جائع ومتعب ،
فطلب من ابنتيه تقديم طعام له ..

وبعد أن أكل موسى وشرب حمد الله وشكره ،
على هذا الرزق الذي ساقه إليه ..

وبدأ الشيخ يسأله عن قصته ، فقص عليه موسى
ما حدث له في مصر ، وسبب هروبه ..

فلما انتهى من قصته طمأنه الشيخ قائلاً :

﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

وهم موسى عليه السلام بالانصراف ، فقالت إحدى
الفتاتين لأبيها :

- استأجره ليعمل عندك يا أباي ، فهو خير من
تستأجره ؛ لأنه قوي وسيكون قادراً على رعي
الأغنام ، وهو في نفس الوقت أمين ..

فقال الشيخ لموسى :

- أُرْغَبُ فِي أَنْ أَزُوجَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ ،

فَمَا قَوْلُكَ ؟

فَقَالَ مُوسَى :

- كُنْتُ أَوْدُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعِيَ نَقُودٌ لِأَدْفَعُ

لَهَا مَهْرًا ..

فَقَالَ الشَّيْخُ :

- سَأَسْتَأْجِرُكَ لِلْعَمَلِ عِنْدِي فِي مُقَابِلِ مَهْرِهَا

ثَمَانِي سَنَوَاتٍ ، فَإِنْ أَتَمَمْتَهَا إِلَى عَشْرِ سَنَوَاتٍ ،

سَيَكُونُ ذَلِكَ كَرَمًا مِنْكَ .. وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَتْعَبَكَ ،

وَسَوْفَ تَجِدُنِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنَ الصَّالِحِينَ ..

فَوَافَقَ مُوسَى قَائِلًا :

- لَا بَأْسَ .. وَأَشْهَدُ اللَّهَ عَلَى هَذَا الْإِتِّفَاقِ بَيْنِي

وَبَيْنَكَ ، سَوَاءَ قَضَيْتُ فِي الْعَمَلِ عِنْدَكَ ثَمَانِي

سَنَوَاتٍ أَوْ عَشْرَ سَنَوَاتٍ ، فَأَنَا حُرٌّ بَعْدَهَا فِي

التَّوَجُّهِ بِزَوْجَتِي حَيْثُ أَشَاءُ ..

فَقَالَ الشَّيْخُ :

أشْهَدُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ ..

وهكذا تزوج موسى إحدى ابنتي الشيخ ، وعاش
في أرض مدين يرعى له الأغنام .

(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء

* الكتاب التالي

موسى عليه السلام

(١) الوادي المقدس

أدريس علي أفتنتائه